

الرؤيا الفلسفية لتداعيات الصراع بين الشخصيتين النرجسية والحدية في رواية نمسيس لرفيق طيبي

The philosophical vision of the repercussions of the conflict between narcissistic and extreme personalities in Rafiq Taybi's novel Nemesis

¹ نور الهدى بختان

Bahtane Nourelhouda

جامعة لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)

University of Lamine Debaghine Setif 2 (Algeria)

مخبر السرديات والأنساق الثقافية

n.bahtane@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2026/06/02

تاريخ القبول: 2026/02/21

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

إن تجربة الكتابة الروائية الجديدة في الجزائر تعد طرحا مختلفا لواقع شبابي ملئ بالأسئلة وكذلك بمحاولات فرض الذات ولفت الانتباه لقضايا تعد أكثر تعقيدا من الظاهر فالرواية الشبابية اليوم لم ترض بالبقاء وسط عالم يتصارع فيه الكبار بل خرجت منه نحو عالم آخر إنه عالمها هي ذلك العالم الذي يضح بكائنات تحتاج أن تتحدث وأن يسمع حديثها فهي تملك الكثير لتقوله، فالرواية الجديدة تعد فضاء خصبا لمناقشة الأسئلة الإنسانية الكبرى حيث يحدث فيها تتلاقى أسئلة النفس مع أسئلة الوجود وسط بناء سردي متعدد التأويلات والذي يكشف عمق التجربة الإنسانية ففي روايته الأخيرة عبر رفيق طيبي عن صراع محتدم بين شخصيتين متناقضتين هما النرجسية بما تحمله من أنانية مفرطة وحب لا نهائي للذات، وبين الحدية بما تحمله من مواقف متذبذبة ومشاعر متناقضة غير أن محمولات هذا الصراع لا تتوقف فقط عند الحد النفسي بل تتجاوزها نحو أفق فلسفي حيث تتم مساءلتها من منظور الرؤيا الفلسفية للبحث عن خلفيات هذا التوتر وجدلياته وهو ما يفتح المجال بصيغة أكثر لقراءة أعمق للعلاقة بين الذات والآخر وبين الحريات والقيود التي تفرضها طبيعة العلاقة الأنطولوجية وتضعه ضمن سياق الرؤيا الفلسفية التي تضيء النص الأدبي بما يتجاوز سطح الحكاية إلى عمق الوجود الإنساني.

الكلمات المفتاح: فلسفة، صراع، نرجسية، رفيق طيبي.

Abstract:

The wave of Algerian nivelitic waiting presents a distinct approach to a youth drive reality filled with questions the assertion of the self and attention to issues a fertile space for addressing humanity's fuestions where inner a narrative open to multiple interpretations revaling the depth of human experience In his latest novel rafiq tayebi

¹ نور الهدى بختان: n.bahtane@univ-setif2.dz

pertrays a fierce conflict between two opposinallities the narcissistic and the borderline Ye the weight of this conflict extends beyond psychology into a philosophical horizon where it is exmined through a philosophical vision that probes the roots of tesion and its dialectics This opens the way to a deeper reading if the relation etwween self and other freedom and constraing the novel within a philosophical perspspepective that illuminates literature beyond the surface of storytelling toward the depths of human existence.

Keywords: Philosophy, conflict, narcissism, my good friend.



المقدمة:

يطرح عنوان الدراسة: الرؤيا الفلسفية لتداعيات الصراع بين الشخصيتين النرجسية والحدية في رواية نميس لرفيق طيبي إشكالية مهمة تتمثل في: كيف تتجلى الرؤيا الفلسفية في الصراع النفسي بين شخصيتين، وكيف يمكن لهذا الصراع أن يطرح أسئلة عن الحرية وعن الهوية وعن الذات؟ ويهدف هذا المقال إلى تحليل الصراع بين هاتين الشخصيتين النرجسية والحدية مع توظيف الرؤيا الفلسفية للكشف عن الأبعاد الوجودية وأيضاً الكشف عن قيمة الرواية الجديدة حينما تحول التجربة الفردية إلى سؤال كوني.

1. الوجودية بين معركة الشخصيتين النرجسية والحدية:

جاءت الرواية بأسلوب مباشر بعيد عن الإشارات والرمزيات، صفحات كثيرة خالية من أي أحداث سوى وصف لمشاعر تحترق وكأن الكاتب يقول لنا أن العذابات التي يعيشها موح وسعدة بعد عاصفة الطلاق تتجاوز كل الأحداث الأخرى هي رواية يتخللها الكثير من الرسائل بعضها رسائل نصية عبر الهاتف وأخرى عبر البريد الإلكتروني تحكي وجع فراق لم يقدر عليه أحد، وتؤكد أن الحب قد زاد بالفراق بعد أن ظن أصحابه أنه سيموت به.

تطرقت الرواية للجانب النفسي وأثر صراعات الشخصيات التي تعاني من اضطرابات نفسية وتجعل حقيقة معاناتها وتحمل الآخر دائماً مسؤولية الشقاء غير مدركة أن جزء كبيراً من تلك المعاناة كان دائماً بسبب سوء ظنّها، إذ نجد الروائي يشير إلى هذا التفصيل ويركز عليه بشيء من المראה محملاً المسؤولية كاملة لشعب لا وعي له بتأكيه النفسية ولا عناية له بإعطائه وصدماته الطفولية فكم من المشكلات كنا سنتجنب لو أننا عرفنا مركز الداء وعملنا جاهدين على معالجته وتجاوزه من هذا المنطلق يسرد لنا رفيق طيبي حكاية سعدة وموح قصة الحب المفجعة التي لم يدمرها أحد سوى تلك النفسيات المريضة والهشة التي بقدر حبها وحنانها لم تستطع أن توصل ذاك الحب والحنان إلى بيئة سليمة وتعيشه بطريقة صحية وتتجاوز مشكلاته الحياتية مهما بلغت حدتها.

لماذا اختار الطلاق؟ إن أول سؤال يطرح بعد الطلاق هو هل هناك أمل للعودة؟ تختلف الإجابة عن هذا السؤال من طرف لآخر، فهناك دائماً من لا يتمنى العودة بقدر ما يتمنى لو أن قصة مماثلة لم تكن وتجربة كذلك لم تعاش، فالقاص يوم سأل سعدة عن سبب طلبها لطلاق لم تقل الشيء الكثير فهي ما اشتكت من سوء خلق موح ولا من كثرة

خياناته أو خداعه لها أو عدم نفقته عليها ولا حتى من تعنيفه لها بل فقط اكتفت بقول جملة واحدة "يشعروني بأنني غير كافية" (طيبي، 2024، ص11) يا لها من جملة بسيطة كلماتها معدودة خالية من أي عنف بعيدة عن أي نوع من العذاب الذي اشتكت منه النساء في عصور سابقة فسعدة هذا العصر لا مجال في عالمها للآن تضرب أو تعنف ولا أن تخان أو تخدع كيف لا وهي تلك المرأة الجميلة القوية وطيبية القلب التي تملك سحرا خاصا، لكن ما قالته كان اختصارا لتجربة زواج فاشلة فكل ما صدم سعدة كان عدم هيام زوجها بها، حيرها كيف لم يفتن بجميلة مثلها ويراعها في كل حالاتها ويتحمل نوبات غضبها، حيرها أن يرى نفسه أفضل منها أن لا يعتد برأيها ويتجاوز مشاعرها ساءها كثيرا انتقاده لها وقسوته الشديدة عليها.

يطرح جواب سعدة للقاضي الكثير من الأسئلة، فالذات عند سعدة تفتقد للاعتراف بها من طرف الزوج فقد كان وجودها ناقصا لأنها كانت تفتقد للمعنى الذي يشعرها بأنها كافية كأنتي، وهذا شكل لها محيطا معدوما وجعلها تعيش ضياعا داخل حياتها الزوجية حيث يقول سارتر: "كل شعور هو شعور بشيء... فإما أن نفهم من ذلك أن الشعور يؤلف وجود موضوعه أو معنى هذا أن الشعور في طبيعته الأعمق هو علاقة بوجود عال" (سارتر، تر. بدوي، دت، ص43) فالشعور هنا م يكن مجرد فراغا داخليا فحسب بل هو تعبير عن تداخل مع الآخر والإحساس بعدم الكفاية يجسد هذا الشعور الذي أساسه علاقة وجودية ليتجاوز هذا الشعور الحالة النفسية إلى حالة وجودية فوعي الذات بوجودها يتم تحديده من خلال اعتراف الآخر بها، ليتحول الشعور بالنقص من إحساس فردي إلى إحساس وجودي فالشعور حسب قول سارتر لا يحدده فقط المعنى الباطني بل يتم تشكيله من خلال الرؤيا المفتوحة على العالم الذي ننتمي إليه.

منذ الصفحات الأولى في هذا النص الروائي يكشف لنا موح سره الأكبر إنه رجل نرجسي ويفرد مساحات واسعة من الورق لسرد تفاصيل هذه الشخصية التي لا تقع سوى في حب ذاتها ولا تتقبل وجود شخص أحسن منها ويمكن للقارئ أن يتعاطف مع هذه الشخصية ويقدم دعمه التام لها حين يقربه منها الكاتب ويكشف له تفاصيلها الخفية التي لا يعترف بها النرجسي كثيرا وقبل هذا سنحاول أن نشير إلى الشخصية النرجسية في علم النفس

2. الرؤيا الوجودية للشخصية النرجسية:

مع تطور الحياة وانتشار المنصات التواصلية بشكل كثيف اكتسب مصطلح النرجسية شيوعا غير مسبوقا وضم تحت لواءه عددا لا متناهي من الأفراد وأصبح لقب يطلق على كل من يفكر بنفسه أو يحاول التفكير بها و"هو أحد اضطرابات الشخصية المتعددة ويظهر على شكل حالة عقلية يعاني فيها الشخص من إحساس متضخم ومبالغ فيه بأهميته وحاجة عميقة إلى الانتباه إليه والاهتمام به من قبل الآخرين ونجد أيضا أن الشخص النرجسي عادة ما تكون علاقاته متوترة مع الجميع ويفتقر إلى التعاطف تجاه الآخرين ومالا يدركه الآخرون أن خلف هذا القناع يقبع تقدير متدن للذات وهش للغاية أمام أبسط مواجهة حادة وانتقاد لاذع"، (علام، دت، ص30-31) فالنرجسي في علم النفس لا يهيم إلا بذاته حيث لا يمكن له العيش إلا بجعل كل شيء يدور حول ذاته حول منجزاته حول أعماله حول ذكائه، لكنه في الحقيقة يعيش حالة من الهشاشة النفسية وهو ما يكشف أنها آلية دفاع وجودية يود من خلالها حماية الكيان من كل ما هو خارجي كما تعرف بأنها "شعور بالعظمة بشكل غير مبرر وغير مرتبط بأسباب منطقية أو مواقف معينة بل بشكل

مستمر" (علام، دت، ص 30، 23) ودائم لا يشكل أي أذى لنفسه التي يجدها بل يؤدي من هم أقرب إليه من أي شخص آخر ويطلق علماء النفس لقب الضحية على شريك النرجسي سواء كان رجلا أو امرأة فالجنس هنا لا يشكل فارقا كبيرا مع وجود دراسات تؤكد أن هذا الاضطراب يصيب الرجال بنسبة أكبر من النساء وبالعودة للنص الروائي موضوع الدراسة فإن النرجسي هنا كان رجلا لا امرأة كان رجلا مثقفا وكتابا وقارئا منها حيث استغل حبه للقراءة في مطالعة كتب علم النفس والتعرف على نمط شخصيته التي "تشعر بالتفوق على الآخرين واستحقاق معاملة خاصة" (علام، دت، ص 30-31) وكذلك على شخصية طليقته سعدة والتي تمكن من تشخيصها باضطراب الشخصية الحدية.

3. الرؤيا الوجودية للشخصية الحدية:

هو اضطراب نفسي "يتسم بنمط من عدم الاستقرار في العلاقات الشخصية والانفعالات العاطفية والصورة الذاتية والسلوك يعاني الأشخاص المصابون بالحدية من تقلبات مستمرة في المزاج والتفكير الشديد مما يؤثر على حياتهم اليومية وعلاقاتهم الشخصية والاجتماعية" (الشبي، دت، ص 23) والتي تعاني من عدة مخاوف لعل "الخوف من الهجر" (أوفريدل، 2001، ص 41) أبرزها كما تعاني من "ميولات انتحارية" (الشرييني، دت، ص 18) وهكذا كانت سعدة طبيبة جميلة وامرأة صالحة لكنها متقلبة المزاج ومتقلبة الشعور كانت تعاني من نوبات إجهاد متعبة ومن هواجس مقلقة تشعر خلالها بخوف غير مبرر من خسارة زوجها وخسارة حبه لها بعد مداومتها لليلة كاملة في المستشفى لتجد موح غارقا في حب نفسه ومفتونا بها. "إن الذات موجودة، إنها موجودة إلى حد أن التأمل المستمر الذي يؤلف الذات يذوب في هوية ولهذا فإن الوجود هو من وراء الذات" (سارتر، دت، ص 45) التي تختار وجودها حد الفناء.

4. رؤيا فلسفية في جدلية العلاقة بين الرجل النرجسي والمرأة الحدية (موح وسعدة): عن رسائل العتاب والوعي والشوق

كما أشرنا سابقا بدأت الرواية بالطلاق لتحكي لنا فيما بعد أسبابه ونتائجه فموح أحب سعدة وفتن بها وأهداها العمر حبا لا يقاوم وسعدة فتنت بذاك الحب ورأت في صاحبه رجلا مثاليا لا قدرة له على التنفس بحياة لا توجد هي بها، كان الحب في بدايته شرسا قويا ولا يقاوم قادهما إلى التفكير في الارتباط الرسمي والخطوبة في أقرب وقت تمهيدا لزواج لا ينتهي، فقد فكر موح رفقة سعدة في كل التفاصيل المشتركة التي ستجمعهما طوال عمر من الحب والغرام وأول التفاصيل كانت إنجاب أطفالا يشكلون ثمرة حب جميل وامتداد لا ينتهي لقصتها معا فكرا في ولد وبنت يانيس وأنايس

1.4. الرؤيا المريبة/ أو ماراته سعدة:

استمر زواج سعدة من موح فقط خمسة أشهر فترة قصيرة لم تكن كافية لكيها نفذ صبر سعدة التي سألت موح وهما على شاطئ البحر يستمتعان بأول أيامهما بعد الزواج ذاك السؤال المربك "سألني:

– حبيبي، هل يمكن أن تتركني؟

بدا سؤالاً حاداً، أوقفت كأساً في منتصف طريقه إلى شفتي، تبت في ماء قليل، توجست من كلمة تتركني رغم أنها لم تأت إلا في سياق سؤال عاطفي من امرأة تريد الأبدية قلت:

Jamais

غير مدرك لما استخدمت الفرنسية؟ توكيدات العربية أقوى أبدا مستحيل إطلاقا هل يمكن أن يكون الفقد قاتلا؟" (طيبي، 21-22)

هي سعدة في أول تقديم للكاتب تسأل عن الهجر وعن الفراق تخاف احتمالية تركها ويخطر الانفصال على بالها وهي في أوج سعادتها وبين ذراعي حبيبها الذي لم يفعل أي شيء يشير إلى تخليه عنها، فهي هنا تعيش قلقا وجوديا يمثل في قلق الفقد ومن خلال سارتر نعرف أن الإنسان حر لا يستطيع أن يضمن شعوره والتزامه للأبد لأن الوعد الأبدي من طرف موح يقيده من خلال قوله هل يمكن أن يكون الفقد قاتلا؟ وكأنه يعترف بأنه لن يكون أبديا في حياة سعدة لأن هذا خارج عن نطاق قدرته، فالكأس لذى توقف في طريقه إلى الشفاء يعكس صورة الحياة التي لا بد لها من أن تتوقف يوما، فالذات هنا تعيش صدمة السؤال العاطفي أثناء تحولها إلى سؤال وجودي يعكس أن الخلود هو المستحيل في حين يبقى الوجود هشاً وغير قابل لصياغة بدائل ثابتة.

و تعد صفة الخوف من الهجر من أبرز صفات الشخصية الحدية التي تعيش هاجسا لا ينتهي وخوفا غير محدود من احتمال فراق من تحب إنها لا تستطيع أن تثق ثقة مطلقة ولا أن تنام مطمئنة لأن مخاوفها لن تفارقها بل تستمر بالضغط عليها وتنغيس حياتها، وهو نفسه ما قد اعترفت به سعدة في أول رسالة لها بعد الفراق الذي كانت هي من اختاره وأصر عليه والذي لم يملك موح إلا أن يوافق عليه "في بداية علاقة مليئة بمخاوف وهواجس ستحول الدرب لاحقا إلى منعطفات خطيرة ومميتة اكتشفت متأخرة أنني مثقلة بشكوك وأوهام حولت قلبي وحواسي إلى حرائق مفتوحة أنام على هاجس خيانتك المحتملة وهرك وأستيقظ عليه رغم أنني لا أملك إشارة واحدة أو دليلا على أنك ستتركي يوما وتغدر بي" (طيبي، 37-38) فقد كانت سعدة مغلوبة على أمرها وتعيش وضعا صعبا ليس بيدها لقد كانت متعبة بهواجس لا تطمئنها ولا موح طمئنها حيث كان مشغولا بنفسه أكثر وبجبه بشكل أكبر كانت سعدة تحترق ولا مجال للثقة وما زاد الوجد هو موح الذي اختار أن يهمل كل تلك الشكوك ويتجاهل كل تلك المشاعر الغاضبة والتي تنادي بجبه في صمت وتطالبه بالتقرب أكثر لكنه لم يعرف كيف يقترب بل ظل يعرف فقط كيف يجب نفسه ويبالغ في تدليلها وأيضا ليقذف بالعلاقة إلى الحميم، لقد كانت سعدة تعيش وضعا مربكا للغاية لا يمثله الحزن أو الخوف من الفقد فخسب بل يحسد نوعا من الوعي الذي يسبق الواقع، فهي تدرك أن حرية الآخر مطلقة ويمكنها تركها على هذا الأساس فلن تقدر على تقييده مما يولد لديها قلق لا نهائي لتصبح حريته مهددة من طرف حرية الزوج الذي لا يمكنها تقييده، ويتطرق سارتر في هذا إلى مفهوم سوء النية فالذات عند سعدة تؤكد وجودها من خلال تقييد حرية زوجها وتبدو من خلال حريته كضحية لا خيار لها وهو ما يكشف حالة وجودية تتمثل في رفضها لمواجهة حريتها هي بعد الطلاق واختيارها البقاء في عتبة الخوف والقلق.

هكذا انتهت علاقة الزوجين بقرار الطلاق بالتراضي ليركن كل منهما إلى نفسه ويعيد حساباته وسط حب لم يعرف أي منها طريقة للحفاظ عليه

تمر عاصفة الطلاق الذي تم برغبة مشتركة من الطرفين حسب القاضي بيد أن سعدة من ألحت عليه وطالبت موح بقبوله لم يتخيل أن ذلك قد يحدث ولم يستوعب حقيقة الأمر إلا وهو يودعها عند باب المحكمة، لينهار العالم من حوله ويغرق داخل بحر من الذكريات، نلاحظ من خلال الرواية أن موح أفرط في الوفاء لذكرى سعدة وقاوم كل

محاولات الإغراء التي واجهته وتصدى لها بقوة فقد كان مهزوما داخليا رغم كل ما كان يتميز به لقد كان مرفوضا أيضا وهذا ما ضاعف عمق جرحه، هو لم يترك سعادة، هي التي تركته وجعلته يوافقا مرغما على الطلاق بسبب إصرارها وعنادها، "الاندفاع خطير وجدتني في محيط لا يعطيني إشارات جيدة ضاعف مأساتي وقد قلت لك ذلك قبلا في رسائلنا الأولى تخيل أنني في عز نوبة الإجهاد والحاجة إلى سند فكري وروحي للتفكير بشكل أكثر حكمة وترثيا لم أجد إلا شقيقة تقول لي تطلقي لست الأولى ولا الأخيرة إلى اليوم أجمل لماذا لم تفعل هي ذلك" (طيبي، ص 132) فسعادة تعترف بإصرارها على الطلاق وحتى وإن كان موقف شقيقتها داعما لها في تلك الفترة إلا أن الفكرة الأولى وتنفيذها كانا من نصيب سعادة، ترى سعادة أن طبعها تأثر أكثر بشخصية زوجها وأنه لو تفهم وضعها كان قد جنبها الكثير من القهر والبكاء فسعادة صدمت ووجدت نفسها تعيش مخاوفها كلها واحدة تلو الأخرى بسرعة كبيرة فأسمرت لتقديم النهاية مخافة فجائع كبرى لا تتحملها فنصرها لم يكن نتيجة تفكير بل كان نتيجة تعب حيث عاشت حالة وجودية أنهتها بقرار لا وعي عليها تتخلص من العذاب وهو الفعل اذي دمر حريتها أكثر مما عمل على تفعيلها لأنها مارسها تحت ضغط لهذا حينما تطلعت لم تحصل على راحتها المنشودة تقول "تشعري أنك تحدثني من شرفات عالية لا تشبه شرفات عاطفية" (طيبي، ص 47) فقد منح الكاتب لسعادة حقها في الكلام من خلال الرسائل التي كتبها لطيبتها والتي استطاعت من خلالها أن تبرهن للقارئ أنها لم تفهم فقط وإلا لما طلب الطلاق وأصررت عليه فهي تلوم موح على تعاليه عليها وهي زوجته، إنه ينظر إليها نظرة دونية ويعاملها بقسوة لا مكان فيها للعاطفة فكانتها عنده أضحت عادية أو لنقل أقل من عادية لم تعد سعادة تستحق معاملة رقيقة وخاصة لأن موح لا يملك وقتا لها "تفاجئني بصراخك على أشياء صغيرة عبرت من خلالها عن أنوثة تتدلل عليك تشاكسك لكن ردودك عنيفة تقطعني تبعر نظرة مثالية تجاهك إلى درجة شعرت أنني أتعامل مع شخص غير الذي أحببت في البداية شخص قضيت معه شهورا طويلة في خطوبة مرت بسلام كت هادئا خلالها وغير مهال بكثير من التفاصيل" (طيبي، ص 49) فظهور وجه آخر أربك سعادة وصدمها وأكد شكوكها فما كانت تراه من حب واهتمام وحسن معاملة لم يعد له وجود، رحل فجأة ليحل محله قسوة وتجاهل لا مبرر لها في نظرها" بعد الزواج رأيت فيك علامات قسوة رأيته مرارا اندهشت رغم شاعريتك العالية عنفتني لم تأبه إلى حزني" (طيبي، ص 49) فقد أصبح الترجسي يرى زوجته غير كافية وغير محبة أيضا لأنه يرى نفسه الكافي والمكتفي والذي لا يستمع بالحياة إن لم يكن هو محورها فزوجته أخطأت حين توقعت منه أن يحبها ويسعى بشكل دائم وغير محدود إلى إرضائها رغم إدراكه التام لحبها الكبير له "صحيح أنني سقطت في حبك لكن سقوطي لم يكن كافيا بالنسبة إليك لقد أردت تحويلي إلى نسخة عنك أو هذا ما تراء لي على الأقل مع التحريض اليومي صار هاجسي أن تزداد رغبة في السيطرة علي وأن تنسحب عاطفيا مع مرور الوقت وإنجاب الأطفال" (طيبي، ص 196) هذا ما كان يبدو لسعادة وهي ترى موح غير مباليا بها ومتنكرا لكل وعوده لها لقد رأت بأنه كان يعمل جاهدا على الإغائها وسحبها من عالمها لتغرق في عالمه هو ولكي لا ترى إلا هو فما حاجتها للكيان وللوجود وهو موجود كان موح يرى أنه يكفي أن تكون زوجته لا أن تكون إنسانة مستقلة بذاتها وهذا ما رفضته سعادة وما أثار جنونها، فالحب هنا لم يكن يمثل علاقة وجودية حرة بل تجلى كفل سقوط يعبر عن خسارتها لذاتها لتعيش صراعا بين وجودها الحقيقي ووجودها المزيف الذي تُنفى فيه حريتها ويتم تحويلها إلى نسخة ن الآخر لتعانيه بعد شوق طويل قائلة "لماذا أنت سيء يا موح لا تقدر أن الآخر لا يشبهك مختلف عنك لا يقول ما تقوله ولا يفعل ما تفعله سواء

إيجاباً أو سلباً" (طيبي، ص 197) فرفض الاختلاف لا يعني سوى عدم القبول وموح رفض أن تكون سعادة هي سعادة ولم يقبل تفردا وتميزها لأن نورها كان يطفئ توجهه الذي يريده دائماً وغير محدود يريد أن يظهر هو أن يستمر هو أن يصل هو وما تفعله سعادة لا يكون سوى امتداد له لأنها زوجته هو، هذا ما يراه النرجسي وهذا ما يريده أن يكون الآخر تابعا له فلا يمكنه أن يمنح الكثير لأي أحد كونه هو الذي يستحق كل شيء ولا يمنح الآخر إلا في البدايات حتى يسيطر عليه أكثر حيث تعاتبه سعادة قائلة في واحدة من رسائلها الطويلة "دلتني بشكل مؤقت حين تثور أشعر أنك تعرفت علي قبل قليل في موقف درامي في الشارع عودتني على رفعي عاليا عاليا جدا ثم الإلقاء بي لأشعر أنني سقطت من ناطحة سحاب، تهشم كبريائي وحواسي وتهتز كيماء الحب بداخلي بشكل روتيني خشيت عليها من أن تخفت للأبد فعاقبتك بالغياب صدفي حبيبي لم أحسب يوما للمحكمة أو ما ينجر عنها ظننته عقابا وليس فراقا أبديا" (طيبي، ص 200) لكن العناد كان له رأي آخر فوح لم يقاوم رغبته الشرسة في الفراق ولا تشبث بها أو طلب منها التمثل والبقاء كان صامتا مستسلما مصدوما من فكرة أن رجلا مثله سيزنك للغياب والعذاب وسيرفض ويحال إلى مدن النسيان" غير متعود على الرفض تظن أنك أسمى من أن يتم هجرك" (طيبي، ص 200) لم تناضل لم تقاوم فراقنا لم تحاول استعادتي بشكل جاد بقيت تنفجر من بعيد" (طيبي، ص 201) سعدة كانت مجروحة ومرعوبة من فكرة الهجر هواجسها بخصوص هذا الأمر لم ترحمها وعذابها لم ينتهي لذلك أرادت شيء يقينيا من موح تهدده بالرحيل فيتدارك أخطاؤه ويحسن معاملتها ويدرك قيمتها ويتجنب عذابها ويخاف رحيلها لكن كل هذا لم يحدث فليس موح الذي يترجى امرأة كي تبقى برفقته ومادامت قررت الرحيل فلن يكون إلا موافقا رغم كل الخراب الذي يحيط به.

2.4. / الرؤيا المضادة أو ماراه موح:

تنفق منذ بداية هذا العنصر أن رؤية سعدة تختلف تماما عن رؤية موح فهي كانت ترى أفعاله المؤذية وتعيش من خلال تلك الأفعال عذابا لا تنتهي في حين لم ير موح شيء من هذا لانشغاله برؤية نفسه فقط وحينما تحدث عن رؤية موح فإننا نقصد رؤيته بعد الفراق أو بعد الوعي بالوضع النفسي له ولطليقته إذ يقول لها في رده على رسالتها المعاتبة "لقد كنت مغرورة يا سعدة دون أن تشعري شخصيتك جعلتك تتصرفين بلا وعي تصرفات يقوم بها كل شخص يعيش الضمان شيء من التجاهل وسلوكات لم تواكب اندفاعي اتجاهك" (طيبي، ص 234) لقد كانت سعدة واثقة من حب موح الكبير ورأت أن تتدخل عليه فقط لتعرف حجم حبه وتغتنل هاجس الهجر الذي يصارعها ويكاد يحطم حياتها وموح رآها تملك ضمان حبه لذلك تبادت في التنكيل بعلاقتها كثيرا ولكن ما حير سعدة ودمرها في الحقيقة لم يكن إلا عدم الضمان لا غير" إن وجود الموضوع عدم محض إنه يتحدد على أنه نقص وهذا هو ما يند ولا يعطى أبدا من حيث المبدأ" (طيبي، ص 106) فسعدة كانت خائفة من الغدر عدم الحب الفراق والخيانة وهو ما قادها لوضع حد لكل تلك الهواجس فحين ترك موح لن تخاف من تركه لها كونها "شخصية حدية كبرت في بيئة نرجسية صنعت حديثا من خلال أم طيبة غير قادرة على صد جبروت أب نرجسي... إضافة إلى أعطاب أخرى موزعة على أفراد عائلتها يفسرونها بالعين والسحر" (طيبي، ص 107) هذا ما أدركه موح متأخر بعد الفراق سعدة تعيش بنفسية مترهلة وأفكار مشتتة فقد كانت "تعتقد بشكل يقيني أنها أكثر التقاطا للعين الشريرة في وقت يمكن الحسم من مختص بارع أن ما تضمنه أعراض عين شريرة ينبع من عمق شخصيتها نوبات الهلع نوبات الإجهاد خوف الفقد الرعب من الخيانة التنقل بين حدين بين الروعة والعناد

والعصوبة ورؤية كل شيء إما أسود أو أبيض حساسية عالية ردود أفعال عنيفة لا تستساغ حين تتعرض للضغط" (طيبي، ص 54) هذه هي سعادة التي عرفها موح والتي لم تكن سوى كتلة من الأعطاب النفسية التي لم تكن لها يد فيها وكانت خارجة عن إرادتها لقد اكتشف موح أنها كانت مغلوبة عن أمرها ولا تقصد كل ذلك الخراب الذي جلبته إليه، حيث يقول لها "لقد عشت انفعالاتك وفهمتها متأخرا تفكرين باستمرار في أنني سأتحلى عنك كان هاجسا بالنسبة إليك من خلال تساؤلك المستمر تخوئي؟ تخليني؟ قلت لا بد وأنا لا تشعر بالأمان" (طيبي، ص 55) وهذا بالطبع ما فاقم حيرتها عدم الشعور بالأمان مع رجل تملأ النساء عالمه ويعيش في بيئة متفتحة نوعا ما حيث تفسح له المجال للتقرب من أي امرأة قد تخطر له، فلم يكن موح مجتهدا في توضيح الوضع لسعادة بقدر ما عمل على إخافتها من خلال كلامه عن شكل حياته الذي "كان مليئا بالناس والنساء ومحيط متفجر تجاه المرأة أخطأت حين حدثت عنك فملاك شكوكا حدثت عن نوايا أصدقاء مستائين من زوجاتهم عن REDPILL التي بدأت تتصاعد عن مقدرتي عن الاستغناء وقد اتضح لاحقا أنها وهم" (طيبي، ص 251) عجز موح عن تخطيه وبقي أسير ماضيه لا قدرة له عن الفكك منه، فموج الترجسي كان يعسى ودون وعي منه إلى إثارة غيرة سعادة وكذلك تشكيكها بأنها غير كافية وأن الدنيا حوله مليئة بنساء ينتظرن إشارة واحدة منه وأنه يعرف رجلا يحملون نوايا سيئة تجاه زوجاتهم كما أنه يتمتع بقدرة عالية على الاستغناء ولا شيء قادر على ربطه وتقيد كل هذه الاعترافات المجنونة والتي لا يبوح بها رجل عاقل لامرأة عاقلة وذات نفسية سوية كان موح قد صيها دفعة واحدة في عقل سعادة الحدية التي تشكل كل هذه المخاوف علامة أساسية في تركيبها النفسية وقد عمل موح على تأكيدها ليعجل بذلك من انفجارها دفعة واحدة والقضاء على كل شيء، لأنها أدركت أنه لا جدوى من البقاء "منذ اللحظة التي يتم فيها ادراك اللا جدوى، تصبح انفعالا أشد الانفعالات إزعاجا ولكن سواء كان المرء يستطيع أن يعيش مع انفعالاته أم لا، سواء كان يستطيع أن يتقبل قانونها أم لا ذلك القانون الذي يحرق القلب الذي تسمو به تلك الانفعالات" (كامو، دت، ص 31) ما قام به موح هنا كان نوعا من إسقاط المسؤولية على طبيعة سعادة الحدية فهو لم يتحدث مطلقا عن شخصيته الترجسية بل مارس سوء النية وهذا ما يسميه سارتر الهروب من الحرية، فقد كان يملك القدرة على إعادة النظر في سلوكه لكنه يختار بدلا من ذلك أن يقيده سعادة من خلال نكرانه لحياتها، وإنه "باختياره لذاته يختار أيضا لبقية الناس فلا عمل من أعمالنا في خلقه لما نريد أن نكونه إلا ويساهم أيضا في خلق صورة الإنسان كما نتصوره وكما نلظن أنه يجب أن يكون" (سارتر، 1964، ص 17) فقد كانت رسائله الطويلة مرآة لرؤيا اغترابه داخل قصتها معا فهو لا يواجه ذاتها ويختار الوقوف في العتمة حتى لا يراه أحد في حين يسلط ضوء كاشفا على عيوب سعادة

5. شتات الحب بين الوجود والعدم

بعد أن مرت عاصفة الفراق وخف اللوم عادت القلوب تنبض بلحن العودة والصفح الكبير بعد رسائل طويلة عبر فيها كل طرف عن صدماته ومخاوفه وآلامه ووعيه التام بحقيقة الوضع بعد رسائل مطولة بين موح وسعادة تقرر أخيرا اللقاء المنتظر حيث كتب إليها موح قائلا "سعادة أظننا بحاجة إلى اللقاء توحشت نشوفك نلتقي كي نتحدث أكثر أقترح أن تغدى في فندق بايزيد بسطيف هي لنا ذاكرة البداية ولتكن هذه بداية أخرى أعلميني بموافقتك وبالوقت الذي يناسبك" (سارتر، 1964، ص 257) فلم يعد موح يطبق الفراق أكثر ليذهب مسرعا ويضع يده بيد سعادة من جديد وينتقلا معا لحياة جديدة خالية من الشك والغضب والحزن واللوم والعتاب "عقد جديد وفتحة وتفاصيل تنتظرنا قبل أن

نكون مجددا في بيتنا لنصنع ذكريات جديدة في انجذاب ثان له خصوصيته" (سارتر، 1964، ص 54) فقرار العودة جاء بعد مرحلة سلبية حيث يقول سارتر "إذا أردنا أن نقرر قرارا مؤكدا فما علينا إلا أن نتأمل في حكم سالب نتأمله في ذاته وتساءل هل يظهر اللاوجود في حضن الوجود؟" (سارتر، دت، ص 58) فاللاوجود لم يكن نهاية مطلقة ولكن من خلاله تم تأسيس الوجود مرة أخرى من خلال بناء العلاقة مجددا.

6. الوجود من خلال الفجوة الأولى:

تم اللقاء بين موح وسعدة وكل منها راض أتم الرضى عن الآخر وسعيد به فجأة اختفت كل الاختلافات بينهما، وظهر ذلك الاتفاق الذي يريه كل منهما كانت سعادتهما كبيرة يذلل اللقاء الذي ظن كل منهما أنه لن يكون مرة أخرى فبعد تناول وجبة الغداء معا ركبوا السيارة باتجاه منزل والدا سعدة في انتظار استكمال بقية إجراءات الرجوع لم يكن موح يمتنى أكثر مما كان يعيشه في تلك اللحظات ولا كانت سعدة ترغب بغير تلك الفرصة التي جمعتها بوح بعد أشهر الغياب والعذاب، ولكن وسط كل زخم الحب والمشاعر الطاغية نسي موح نرجسيتها وتغافلت سعدة عن حديثها رغم أنها لم يتحدثا سابقا عن خضوعهما لأي علاج نفسي يسيطران من خلالها عن تلك النوبات التي عصفت بهما في وقت سابق إذا يلاحظ القارئ أن الحالة النفسية بعد الفراق تغيرت ولم تعد مشحونة كما في السابق فقد كان غياب كل منهما عن الآخر كافيا لضبط النفوس ومراجعتها والتحكم بالأفعال وردودها، بل يلاحظ أيضا أن مشاعر الحب والشوق كانت أكثر بروزا عندهما من أي مشاعر أخرى فقد اختفى عتاب تلك الرسائل وحل محله شغف لا حدود له، كانا عن بعد خطوة من السعادة الأبدية لكن القدر كان له رأي آخر، فسيارة موح الجديدة كانت تتميز بتقنيات كثيرة وكانت سرعتها كبيرة وسعادتته أيضا كانت كبيرة وهو ما قاده لمضاعفة السرعة لتنتهي رحلة الفرح القصير بسرعة غير متوقعة حيث وجد نفسه يصطدم بجدار كبير فجأة ويدخل بذلك عالم مختلف إنه عالم الموت الذي لا مسافة بينه وبين عالم الحياة والذي يمكن الدخول إليه بكل لحظة بغض النظر عن نوع تلك اللحظة، هكذا تحولت الفرحة إلى فجوة لا حدود له رجل مع طليقته في السيارة يمهدان لبدء حياة جديدة لكن حادثة طارئة غير مجريات الأمور، وجد موح نفسه عاجزا عن السيطرة على السيارة فاقدا للقدرة على التحكم بها لم ينقذ نفسه ولا أُنقذ سعدة فقط بقي يستمع لحديث المارة من حوله أحدهم يلومه على تلك السرعة المفرطة وآخر يطلب تغطية المرأة والبقية يتحدثون عن حالة السيارة.

يتركنا موح بين صدمة الرجوع لسعدة، وصدمة الحادث الذي تعرض له برفقتها لنعيش حالة وجدانية غريبة ومتناقضة وتساءل بحيرة عن مصير ذلك الحب الذي لم يجد مرساه بعد والذي ضيعته حالات نفسية غير مستقرة ثم عصفت به القدر في زاوية أخرى نجعل مصيرها.

في تلك الصفحات يؤكد طيبي على ضرورة استغلال الوقت والظروف والعيش بسلام رفقة الأحبة لأن الحياة قد ترغمنا في أي لحظة على فراق غير محتمل وغير مرغوب فلا أحد يمكنه أن يختار بقاؤه ولا أحد يملك القدرة على رفض موعد الرحيل إن هو وصل وحان.

يحدثنا موح عن حياة اللاوعي التي عاشها برغبته الصامتة والتي منعت منها تلك الشخصية الزرجسية التي تسلطت عليه وحرمت من عيش حياته كما يشاء

7. وهم الوجود ووجود الوهم:

يمزج نص نمسيس بين عالمين من الحقيقة والخيال ليعبر لنا عن الأبعاد النفسية التي تعيشها شخصية موح تلك الشخصية التي ظلت تصارع نفسها بطريقة مأساوية كي تحقق خلاصها عن أشباح الماضي وعقده النفسية التي تعبر من خلالها عن أزمة عميقة تلازم موح وتحيط بعالمه ليصبح السلام النفسي مجرد أمنية يكتبها في رسائله لسعادة، وترد سعادة بأمنية وأفكار مشتركة فقد كانت هي أيضا ضحية تنشئة خاطئة وظروف لا مسؤولية لها عليها، إذ رأت أن ما مرت به بعد تجربتي الزواج والطلاق هو فهم متأخر لأسرار الحياة وحقيقة لا مفر منها بالنسبة لشخصيات تعاني من أعطاب كثيرة فسعادة تعرفت على نمط شخصيتها الحدية من خلال كتابات موح الفيسبوكية كان إدراكها متأخرا بعد أن دمرت كل شيء خلفها ومضت إلى عالم الصمت والفراغ تناجي حياة أخرى خالية من مشاعر الحب والعذاب وتمني القلب بسلام أبدي بعيدا عن هواجسها حول موح الذي شكل بشخصيته النرجسية رمزا مباشرا للعذاب والألم لكن الحياة توقفت بالنسبة لكلهم، فالفراق كما اللقاء شأن قدرتي قد يستمر وقد ينتهي والفراق بين موح وسعادة كان أجله محدودا في البداية، فبعد الحادث المأساوي يسرد لنا موح تلك الحياة الجميلة التي تمكن من عيشها رفقة سعادة وطفليها أنانيس ويانيس فلم يتخلى موح أكثر من ذلك كان يعيش سعادته بكل تفاصيلها غير مبالي بأنها سعادة خيالية، فقد طمس الكاتب معالم الحقيقة في نصه وأربك القارئ حينما جعله يصدق بزواجه مجددا من سعادة وإنجاب ولدين منها والعيش برفقة تلك العائلة الصغيرة وسط فرحة لا تنتهي بهذه الطريقة يكون الكاتب قد أعطى قارئه جرعة مضاعفة من الأمل وثقة لا محدودة في الحياة التي قد تمنحنا ما نريد بكل سهولة فقط يكفينا أن نريد لنحصل على ما نريد، ثم يؤكد لنا أن كل جبال الصفحات الماضية لم يكن إلا حلما ورؤيا خيالية مرت بخاطر موح أثناء غيبوبته داخل المستشفى العسكري بالعاصمة، هكذا ودون مقدمات وشروحات كثيرة يتلقى القارئ تلك الصدمة اللامتوقعة وينكسر أفق انتظاره بحدة شديدة وتهشم كل تلك الآمال التي مرت به سابقا ليعرف أنه أمام شخصية نرجسية تسيطر على الأحداث وتتلاعب بالجميع حتى بمن يقرأ عنها.

فموح مازال حبيس غرفة داخل المشفى يعاني ألما كثيرة وما أخبرنا به لم يكن إلا شيء من لاوعيه، وسعادة هي الأخرى مازالت داخل المشفى تتعالم في جناح آخر.

في هذا الجزء تتكاثر الأسئلة عن أثر الحادث على موح وسعادة والعلاقة بينها لتأتي الإجابة سريعا من موح فبعد خروجه من المشفى بفترة قصيرة طلب من والدته أن تتجهز لتذهب لطلب يد سعادة من جديد كان موح يشعر وكأنه قد سد دينا عظيما بذلك الحادث الذي عاد من خلاله من الموت ورأى أن الوقت لا يكفي لمزيد من تضيقه بعيدا عن حب يسكنه ولا يتمنى سواه، كانت سعادة تسكن شغاف القلب وتملك الروح، لكن تلك الروح كان مصيرها العذاب الأبدي فقد كان رد والده موح غير سار بالمرّة حين قالت بعد صمت لا مبرر له "ولدي سعادة عند الله سعادة ماتت".

لماذا عادت سعادة إلى موح؟ هل عادت لأنها ستموت؟

لقد عادت من أجل أن تجعل الجرح غائرا أكثر، فسعادة ليست لموح، وهي أيضا ليست للحياة، نعم لقد ماتت سعادة سحبت من السيارة ميتة لحظة ارتطام رأسها بالزجاج كانت لحظتها الأخيرة بالحياة، فمن الذي قتلها؟ ومن الذي

تسبب في موتها؟ تلقي موح خبر موتها بألم عميق وجد نفسه يفرق داخله لحظة بعد لحظة كان شعور الندم عن تلك السرعة التي قاد بها السيارة يقتله، وكان الشعور بالذنب لا يفارقه ظلت سعدة تزوره في المنام تحذره وتسأله عن أشياء كثيرة لكنها لم تسأله مرة لماذا قتلها، فهل حقا تعتمد موح أن يقتلها؟ إذ بالعودة إلى طبيعته النرجسية يمكننا القول بأنه لم يستطع تقبل الطلاق الذي كان من اختيارها وشعوره بالرفض من طرفها يعد سببا كافيا جدا ليقرب قتلها، فقد ظل موح يجد حبه لها ويخفي حقه عليها داخل هذا النص الطويل فبكاء موح وحزنه على سعدة لا ينفيان أبدا مقدرته على قتلها فموح لم يتخلص من نرجسيته بل فقط صار واعيا بطبيعته النفسية وعالما بها، وهذا لا يكفي كي يعود إلى سعدة دون ضغينة ودون انتقام، وبالعودة إلى سعدة تلك المرأة الحدية ربما لم تقبل العودة إلى موح إلا من أجل أن تعطيه درسها الأخير في الفراق ربما لم يقتلها وربما حاول قتلها ولكنها نجت ولم تمت ربما قررت أن تتظاهر بالموت وتختفي من عالمه بشرط أن تظل غصة في قلبه فهو لم يعرف كيف يحافظ عليها في فترة زواجهما القصيرة ولم يعرف كيف يعيدها إليه بعد الطلاق حتى عادت هي تطلب منه رجوعا كان يظنه الجميع مستحيلا، لا يبدو أن سعدة الحدية قد عادت من أجل العودة بقدر ما تكون قد عادت من أجل الانتقام هي أيضا، فحين زار موح قبرها لم يجد اسمها كاملا ولا وجد تاريخ ميلادها كاملا وحتى بعد أن كتب لها قصيدة طويلة على شاهد قبرها ورأى أفراد عائلتها عند ذات القبر مستغربين يبقى احتمال عدم موتها واردا وهروبها منه محتملا فالشخصية الحدية تظل رهينة الشعور بالخوف من الفراق وهو ما يدفعها للرحيل مبكرا وسعدة لم تشف من حديثها لنقول أنها إنسانة سوية تقرر الرجوع بعد الطلاق بصورة طبيعية، فسعدة هنا اختارت العدم وهنا يصبح "العدم يحيط بالوجود من كل ناحية وفي نفس الوقت نراه مطرودا من الوجود وهكذا أيضا نرى العدم يتبدى على أنه ما به يتلقى العالم ملامحه كعالم" (سارتر، دت، ص 71)، بهذه الأفكار يغادر القارئ نص نمسيس ويترك موح وسط هواجس نفسية وأزمات عقلية تدفعه للجنون لينتهي داخل مشفى الأمراض العقلية لا يعرف ما هو مصيره القادم ثم تنتهي حياته مختنقا من طرف مجهول ربما هو سعدة أو روحها المنتقمة أو ربما لم يكن ذلك إلا كابوسا عاشه موحا وكأنه واقعا بعد أن فقد عقله ضاعت بوصلته في الحياة ليعيش بدون معالم.

تتبعاً الرواية إذاً ويغلق الكتاب ونرى العنوان مرة أخرى إنه نمسيس إذن أنها الألهة التي انتقمت من نرسيس الذي هاجم نفسه ورفض المرأة التي أحبته فانهى غرقا في صورته التي هاجم بها، وهذا أيضا هو ملخص رواية رفيق طيبي فموح لم يحافظ على حب سعدة وضيعه بسبب نرجسيته الطاغية لينتهي وحيدا ثم مجنونا ثم مقتولا وهذه هي العدالة التي حققها هذا النص وانتصر لها ليصبح العنوان هنا ركيزة أساسية في فك شيفرات هذا النص.

8. الخاتمة

في ختام بحثنا توصلنا للنتائج التالية:

يؤكد نص نمسيس أنه نص وجودي بامتياز سواء من ناحية موضوعه وشخصياته أو من ناحية أثره على القاري فهي من الروايات تمت كتابتها استنادا إلى وعي وجودي تطرح فيه أسئلة كثيرة حول مفهوم الحرية وكيفية استعمالها، وفيها تظهر التجربة الإنسانية وسط عالم عبثي لا يكتمل فيه الإنسان بل فقط ينتقل من تجربة إلى أخرى ومن سؤال إلى سؤال، كما أن حضور كل من: الحب/ الموت/ الوحدة/ أقل، لا يدل فقط على أحداث اجتماعية عادية بل يمثل علامات وجودية من خلالها يبحث الإنسان عن المعنى

- __ تؤكد رواية نمسيس على ضرورة الوعي بالحرية الفردية التي تعد مركز الحرية الإنسانية
- __ عملت الرواية على كشف صراع الذات مع عبثية العالم وإبراز هشاشة العلاقات الإنسانية أمام تحديات الحياة.
- __ تمثل الرواية قضايا التفكير في الوجود أكثر من كونها فضاء لسرد الأحداث.
- __ في النهاية شكت رواية نمسيس للقارئ مثالا عن تجربة وجودية تقدم الأسئلة أكثر من الأجوبة.

قائمة المراجع:

1. رفيق طيبي، 2024، نمسيس، برج بوعريش، الجزائر- دار خيال للنشر والترجمة.
2. جان بول سارتر، دت، الوجود والعدم، تر: عبد الرحمن بدوي.
3. محمود علام، دت، كيف تصبح نرجسيا، جمهورية مصر العربية، دار الرسالة للنشر والتوزيع.
4. ملاك الشجي، دت، بين الظل والنور، تأملات في اضطراب الشخصية الحدية، ص 23
5. روبرت أوفريدل، 2001، إزالة الغموض عن اضطراب الشخصية الحدية، تر: ليندا كوكس، مكتبة جرير.
6. لطفي الشربيني، دت، الشخصية الحدية: اضطرابها وعلاجها.
7. ألبر كامو، دت، أسطورة سيزيف، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، ص 31
8. جان بول سارتر، 1964، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم حنفي، ط1، ص 17.